تراجع مكانة
الشعر والشعراء
في القرن الهجري الرابع ...

بقلم: الأستاذ ياسين كتانة

مقدّمـــة

تتناول هذه الدراسة مكانة الشعر في الأدب العربي منذ القرن الثالث الهجري ، ذلك لأن مكانة الشعر قد أخذت في الهبوط منذ هذه الفترة لأسباب يعود بعضها إلى عوامل دينية ، وبعضها الآخر إلى عوامل اجتماعية وحضارية .

وقد ألجأ هذا التغيّر في مكانة الشعر والشعراء أنصار القريض إلى الرد على هذه الحملات مؤكدين فضائل الشعر ، مدافعين عنه .

لقد حمل أنصار النثر على الشعر بشدّة محاولين إثبات تهافته معتمدين على أدلة ونصوص من القرآن والحديث مرةً ، ومرةً أخرى من خلال المقارنة بين طبيعة الشعر والنثر مبينين فضل الثاني على الأول مدعمين رأيهم بالأخبار والأقوال المأثورة التي تسند موقفهم .

لقد أخذت قضية الصراع بين الشعر والنثر والمفاضلة بينهما تظهر بوضوح في أواخر القرن الثالث الهجري ، ولعلّ الجاحظ قبل ذلك كان أوّل من أبرز هذه المسألة في كتابه البيان والتبيين ، وتوالت في أعقاب ذلك المؤلفات ، بين منتصر للشعر ومعادٍ له .

وسنفصل في الفصل التالي حجج أهم الكتّاب الذين فضّلوا النثر ، وسوف نسهم فيه بمناقشة بعض آرائهم .

الفصل الأول
أنصار النثر

أ. ما يرجع إلى أسباب دينية :

احتج كثيرون بشرف النثر وقالوا بأن الله تعالى نزّل القرآن الكريم نثراً ولم يجعله شعراً ، منهم المرزوقي : "ومما يدلّ على أن النثر أشرف من النظم ، أن الله تعالى نزّل القرآن منثوراً لا منظومًا ، والمعجزات كانت تنزل وفقًا لما كانت الأمم تولع به ، وفي زمن النبي كان الزمن زمن الفصاحة ، وجعل الله معجزته من جنس ما ولعوا به فتحدّاهم بالقرآن المنثور لا بالشعر المنظوم" .

ومن ثمّ قوله تعالى في تنزيهه للنبي ﴿وما علّمناه الشعر وما ينبغي له﴾ ، وقال ﴿والشعراء يتّبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كلّ واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ لهذا فالنثر أرفع شأنًا[1] .

وإلى آية سورة يس نفسها (آية ٣٦) يستند الثعالبي ليثبت تهافت الشعر ، ويخطو خطوة أخرى فيجعل الأنبياء جميعًا مصونين عن قول الشعر "لانخفاض منزلة الشعر تصوّن عنه الأنبياء عليهم السلام ، وترفّع عنه الملوك ، قال تعالى : ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾"[2] .

وإذا كان يعوز مثل هذه الآراء شيء من الإقناع العقلي ، والحجّة الدامغة ، فهذا ضياء الدين بن الأثير بعد الثعالبي بقرنين يأخذ هذه الأفكار نفسها ويسبغ عليها شيئًا من النظر العقلي مجادلاً أصحاب الرأي الآخر :

"وأما قول من يقول ، إن النثر لما كان عند العرب أسهل عليهم من غيره ، فيكون ذلك أدلّ على الإعجاز من كونه يجيء على أسلوب الأشقّ الأصعب ، فالجواب على ذلك: ثبت أن المعجزات التي على أيدي الأنبياء لم تأت مما كان سهلاً على أممهم ، لأنهم جاؤوا بإحياء الأموات وانشقاق البحر وانفجار الماء من الحجر ، وهذا الحكم موجودٌ في النثر ، فانه

---

١ المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، ص١٨/١٧ .

٢ الثعالبي ، أبو منصور ، رسائل الثعالبي (أو) نثر النظم وحل العقد ، ص٣ .

لما كان شاقًا على العرب وليس فيهم من يقدر على الإتيان به إلا القليل ، أنزل الله القرآن على نهجه وطريقه ... "[٣] .

وأنا أرى أن ردّه هذا فيه ثغرات ، من حيث أنه قد يقول قائل جدلاً : لما كانت معجزات الأنبياء الآخرين قد قامت على ضرب من الخوارق كإحياء الموتى وانشقاق البحر وغيرها ، في حين كانت معجزة النبي ﷺ قائمة على الفصاحة فإنه كما جاز أن تختلف معجزته عن معجزاتهم من حيث النوعيّة ، جاز أن يأتي إعجاز القرآن من حيث الأسهل عليهم ليكون الإعجاز أدلّ كما يقول أصحاب الرأي المختلف ، فيبقى السؤال قائمًا .

بعد ابن الأثير بمئتي عام تقريبًا ، يتعرّض صاحب صبح الأعشى للقضيّة ذاتها وبتوفيق أقل :"ناهيك بالنثر فضيلة أن الله ينزّل كتابه العزيز ليس على صفة نظم الشعر بل نزّهه عنه بقوله ﴿وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون﴾ (٦٩/٤١) ، لأن مقاصده لا تخلو من الكذب والتحويل على الأمور المستحيلة والصّفات المجاوزة للحدّ ... وقذف المحصنات ، وشهادة الزور وقول البهتان وسبّ الأعراض ... بخلاف النثر ، فإن المقصود الأعظم منه الخطب والترسّل وكلاهما شريف الموضوع ، حسن التعلّق ، إذ الخطب كلام مبني على حمد الله تعالى وتمجيده وتقديسه وتوحيده والثناء عليه والصلاة على رسوله والتذكير والترغيب في الآخرة ، والتزهيد في الدنيا ، والحضّ على طلب الثواب والأمر بالصلاح والإصلاح ... وغير ذلك ممّا يجري هذا المجرى ممّا هو مستحسنٌ شرعًا وعقلاً ، وحسبك رتبةً قام بها النبيّ والخلفاء الراشدون بعده .

والترسّل مبنيٌّ على مصالح الأمّة وقوام الرعيّة ، لما يشتمل عليه من مكاتبات الملوك وسراة النّاس في مهمّات الدّين وصلاح الحال وبيعات الخلفاء وعهودهم ، وما يصدر عنهم من عهود الملوك ... إلى غير ذلك من المصالح التي لا تكاد تدخل تحت الإحصاء ولا يأخذها الحصر"[٤] .

---

٣ ابن الأثير ، ضياء الدّين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، ص٧٤/ ٧٥ .

٤ القلقشندي ، أبو العبّاس ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، ج١ ، ص٦٠ .

ويمكن للمدافع عن مكانة الشّعر أن يأخذ عدّة مآخذ على مقالة القلقشندي هذه، منها:

أولاً: ما أخذ على الشعر من مقاصد كالكذب وقذف المحصنات وسبّ الأعراض ونحو ذلك، يمكن أن يؤخذ على النثر أيضًا.

ومن ثمّ، فهذا الثعالبي في رسالته نثر النظم «يباهي» في "باب فضل الكتاب ومادحهم" بمثل ما أخذه القلقشندي على الشعر، فها هم يسفكون الدّماء بأسنّة أقلامهم، وطعنة أقلامهم أنفذ من السّيف:

"قومٌ إذا خافوا عداوة حاسدٍ
سفكوا الدّما بأسنّة الأقلام
ولضربةٌ من كاتبٍ بمداده
أمضى وأنفذ من غرار حسامِ[٥]

وهذا آخر:"

قومٌ إذا أخذوا الأقلام عن غرضٍ
ثمّ استمدّوا بها ماء المنيّاتِ
نالوا بها من أعاديهم وإن كثروا
مالا يُنالُ بحدّ المشرفيّاتِ

فما يكون من التعرّض للنّاس بالشّعر يكون للناثر مثله، فلم ينفرد الشعراء بهذا وحدهم، وأنا غنيٌّ عن سوق نماذج في الأدب العربي يتعرّض فيها المؤلفون بالنقد والتجريح والسخرية، ابتداءً من الجاحظ في رسالة التربيع والتدوير، ومروراً بالرّسالة الهزلية لابن زيدون، وغير ذلك كثير.

ثانياً: القلقشندي في النصّ أعلاه يذكر مآثر وفضائل الكتّاب بين خطباء ومترسّلين، ولكنّه هو نفسه يقع في مفارقة حين يذكرُ في مطلع هذا الفصل فضائل كثيرة جداً للشعر في المقابل (أنظر ص٥٨).

ب. ما يرجع إلى طبيعة الشعر والنثر:

يرجع أكثر من مدافع عن النثر إلى أنّ النّاثر "إنما يترسّل في عهود الولاة والقضاة وتأكيد البيعة والإيمان، وعمارة البلدان وإصلاح فساد، وتحريض على جهاد، وسدّ ثغور ورتق فتوق، واحتجاج على فئة أو مجادلة لملّة أو دعاء إلى ألفة أو نهي عن فرقة، أو تهنئة بعطيّة أو تعزية برزيّة ... وما شاكل ذلك من جلائل

٥ الثعالبي، أبو منصور، رسائل الثعالبي، ص٥.

الخطوب وعظائم الشؤون التي يُحتاج فيها إلى أدوات كثيرة ومعرفية مفتنة ، لهذا كان وجود المضطلعين بجودة النثر أعزّ ، والشعراء إنّما أغراضهم التي يسدّدون نحوها ، وغاياتهم التي ينزعون إليها : وصف الدّيار والآثار والحنين إلى المعاهد والأوطان والتشبيب بالنّساء والتلطيف في الاجتداء والتفنّن في المديح والهجاء ، والمبالغة في التشبيه والأوصاف . فإذا كان كذلك لم يتدانوا في المضمار ولا تقاربوا في الأقدار"[٦] .

والثعالبي حين يرفع كتابه نثر النظم إلى أبي العبّاس خوارزم شاه يحتجّ بنفس رأي المرزوقي بنصّه وحرفيّته مع تعديل طفيف ، فهو يقدّم عبارةً أخّرها المرزوقي أو يؤخّر أخرى متقدّمة ، ممّا يدلّ على نقله لهذا النصّ الذي اقتبسناه[٧] .

يجدُر أن نذكر أن المرزوقي فيما أورده من آراء إنّما كان يجيب عن أسئلة وجّهها له من طلب منه شرح ديوان الحماسة للشّاعر أبي تمّام :"ثم سألتني عمّا يتميّز به النثر عن النظم ..." ، وقلتَ : إنني أتمنى أن أعرف السبب في تأخر الشعراء عن رتبة الكتّاب البلغاء ، والعذر في قلّة المترسّلين وكثرة المفلقين ، والعلّة في نباهة أولئك وخمول هؤلاء..."[٨] .

وعن السؤال الأخير يجيب المرزوقي :"أسباب قلّة البلغاء ونباهتهم وكثرة الشعراء وخمولهم تعود إلى أن المترسّل محتاجٌ إلى مراعاة أمور كثيرة ، إنْ أهملها رجعت النقيصة إليه ، منها :

١. تبيّن المترسّل مقادير من يكتب إليه حتى لا يرفع وضيعًا ولا يضع رفيعًا .
٢. وزن الألفاظ حتى تجيء لائقة بمن يخاطب بها مفخّمة لسلطانه .
٣. أن يعرف أحوال الزمان وعوارض الحدثان فيتصرّف معها على مقاديرها في النقض والإبرام والبسط والانقباض.
٤. أن يعلم أوقات الإسهاب والتطويل والإيجاز والتخفيف .
٥. أن يعلم من أحكام الشريعة ما يقف به على سواء السبيل ولا يشتطّ في الحكومة ولا يعدل فيما يخطّ عن

٦ المرزوقي ، ن.م ، ص٢٠ .
٧ أنظر ، الثعالبي ، ن.م ، ص٢/٣ .
٨ المرزوقي ، ن.م ، ص٣ ، ٤/٥ .

المحجّة"[٩] .

وهذه لعمري شروط ليست موقوفة على المترسّل ، ولا تعطي تفسيراً لقلة المترسّلين - إن صحّ الافتراض - والمرزوقي يجاري السائل لإجلاله له وإكباره إياه كما يستفاد من مقدمة المقدمة .

وما يؤكد هذا الرأي عندي ، أنه هو نفسه الذي يبيّن تهافت الشعر ، يضع جيّده - ما وافق عمود الشّعر - في مرتبة جيّدالنثر ، قبل ذلك بصفحات فقط[١٠] .

فوق ما تقدّم ، يقول ابن الأثير إن الكلام المنثور أفضل من المنظوم من عدة وجوه ، يذكر منها :"النثر أشقّ من النظم ، وإن العرب - وكانوا أفصح الناس - ومع هذا لم يُسمع لأحد منهم نثراً إلا لقسّ بن ساعدة ، ولإقوام آخرين وهم قليل ... أما النظم ، فكان عليهم أسهل الأشياء حتى على نسائهم" ، وهنا أيضًا - وعلى طريقته - يضع أسئلة على لسان المحتجّين :"إن القائل إن النثر أسهل على العرب من النظم واستدلاله بقلّة رغبتهم فيه ، فليس ذلك دليلاً له ، وذلك أنه ثبت بإجماع أن العرب لم تكثر من النثر وأكثرت من النظم، ومن المعلوم أن الإنسان إذا كان مكثراً من شيء استدلّ بذلك على قدرته عليه"[١١] .

وأرى أن إجابته هذه أيضًا ليست دليلاً له ، فلماذا يرجّح عدم قدرتهم على النثر لمجرد أنهم أقبلوا على النظم برغبة أكثر؟ فليس هنالك برهان فيه اليقين على زعمه .

وابن الأثير ذاته يحاول إعطاء دليل آخر على شرف النثر فيقول :"إذا أُخذ معنى من المعاني ، وعُبّر عنه بلفظٍ مطابق له ، وكان ذلك الكلام منثوراً ، فإنه لا يمكن التعبير بمقدار ذلك اللفظ ويكون الكلام شعراً ، وذلك أنه يحتاج في الشّعر إلى إقامة الوزن ، وهذا لا يتمّ إلا بزيادةلفظ أو نقصان لفظ"[١٢] .

ولابن المدبّر رأيٌ مماثل في قوله :"ولا يجوز في الرسائل ما يجوز في الشعر لأن الشعر موضع اضطرار ، فاغتفروا فيه

٩ ن. م. ، ص١٩ .
١٠ ن. م. ، ص٩/٨ .
١١ ابن الأثير ، هناك ، ص٧٤ .
١٢ن. م. ، ص٧٥ .

الإغراب وسوء النظم ، والتقديم والتأخير ، والاضمار في موضع الإظهار ..."[١٣] .

وفي هذا المعنى نفسه بتفصيل أكثر يقول القلقشندي :"الشعر محصورٌ في وزن وقافية يحتاج الشاعر معها إلى زيادة الألفاظ والتقديم فيها والتأخير ، وقصر الممدود ومدّ المقصور ،وصرف مالا ينصرف ، ومنع ما ينصرف ، واستعمال الكلمة المرفوضة وتبديل اللفظة الفصيحة بغيرها ، وغير ذلك ممّا تلجئ إليه ضرورة الشّعر فتكون معانيه تابعة لألفاظه ، والكلام المنثور لا يُحتاج فيه إلى شيء من ذلك ، ويؤيد ذلك أنّك إذا اعتبرت ما نقل من معاني النثر إلى النظم ، وجدته قد انحطّت رتبته . ألا ترى إلى قول أمير المؤمنين عليّ "قيمة كل امرئ ما يحسن" أنه لما نقله الشاعر إلى قوله :

فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي
فقيمة كل الناس ما يحسنونه

قد زادت ألفاظه وذهبت طلاوته ، وإن كان قد أفرد المعنى في نصف بيت ، فإنه قد احتاج إلى زيادة مثل ألفاظه مرةً أخرى توطئةً له في صدر البيت ومراعاة لإقامة الوزن ،وزاد في قوله "فقيمة" فاء مستكرهة ثقيلة لا حاجة إليها ، وأبدل لفظ "امرئ" بلفظ "الناس" ، ولا شكّ أن لفظ "امرئ" هنا أعذب وألطف .

وإذا اعتبرت ما نقل من معاني النظم إلى النثر ، وجدته قد نقصت ألفاظه وزاد حسنًا ورونقًا ، ألا ترى إلى قول المتنبي يصف بلداً قد عُلّقت القتلى على أسوارها :

وكان بها مثل الجنون فأصبحت
ومن جثث القتلى عليها تمائم

كيف نثره ابن الأثير :"فكأنما كان بها جنون فبعث لها من عزائمه تمائم ، وعلّق عليها من رؤوس القتلى تمائم" ، فإنه جاء في غاية الطلاوة ..."[١٤] .

والقلقشندي فطن هنا إلى قيود النظم (الوزن والقافية) ، تلك القيود التي ثار عليها شعراء العصر الحديث كي ينطلقوا في التعبير عن تجاربهم بحرية ، ولا شكّ أنّ نقد الكاتب هنا للشّعر من حيث هو وزن وقافية بمثابة تمرّد على مفهوم الشعر في تلك الفترة :"واتّبع العرب النظريّة التي

١٣ ابن المدبّر ، إبراهيم ، الرسالة العذراء ، ص١٩ .

١٤ القلقشندي ، صبح الأعشى ، ج١ ، ص٥٨/٥٩ .

ترى الشّعر والنثر نوعين من الكلام لا شكلين متمايزين من التعبير ، وليس من فرق بينهما في رأيهم إلا في أن الشعر كلامٌ موزون مقفّى" [١٥] .

جـ ما يرجع إلى الأقوال المأثورة والأخبار :

يرى المرزوقي أنّ الشعراء تأخروا عن مرتبة البلغاء لأمرين :

١. ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ، وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ، ويعدّه ملوكهم دناءة ، كما كان لامرئ القيس مع أبيه في الجاهلية .

٢. اتخذوا الشعر مكسبة وتجارة ، وتوصّلوا به إلى السّوقة كما توصّلوا به إلى العليّة وتعرّضوا لأعراض الناس ، ومدحوا اللئيم ، وذمّوا الكريم ، حتى قيل : "الشعر أدنى مروءة السريّ ..." [١٦] .

وقصّة امرئ القيس مع أبيه يذكرها الثعالبي : "لما أخذ امرؤ القيس في قول الشعر وبلغ أباه حجراً الملك شعره ، أنف منه ووبّخه ووعظه وقرّعه أن يعود لمثله ، فلما رأى ابنه لا يرعوي ، أمر بقتله ، فحامى عليه الخادم فاستحياه وأخفاه ، ثمّ أبلغ حجراً بفعله ، وضمن عند امرئ القيس التوبة من شعره" [١٧] .

وقيل ليحيى بن خالد البرمكي : "لم لا تقول الشعر؟ قال : شيطانه أخبث من أن أسلطه على عقلي ولا خير في شيء أحسنه أكذبه" .

وكان أبو مسلم صاحب الدولة يقول : "إياكم والشعر فإنه يهجو جليسه عند أدنى زلة ، ويطلب على الكذب أرفع مثوبة" .

وقد أفصح عبد الرحمن بن المعذّل عن حقيقة الحال في انحطاط رتبة الشاعر حين قال لأبي تمام وقد قصد البصرة :

أنت بين اثنتين تبرز للنّاس
وكلتاهما بوجه مُذالِ
لست تنفكّ طالبًا لوصالٍ
من حبيب أو طالبًا لنوال
أيّ ماء لحرّ وجهك يبقى
بين ذل الهوى وذل السؤال؟

---

١٥ غرنباوم ، غوستاف فون ، دراسات في الأدب العربي ، ترجمة محمد يوسف نجم ، ص٢١ .

١٦ المرزوقي ، ن.م ، ص١٦/١٧ .

١٧ الثعالبي ، ن. م. ، ص٣.
وابن رشيق في كتابه العمدة ، يرجع غضب حجر إلى أسباب أخرى غير الشعر ، أنظر ص٤٣ .

فلما بلغت الأبيات أبا تمام قال : صدق والله وأحسن! [18] .

وفي التبرّم بصنعة الشعر يقول أبو سعد المخزومي :

الكلب والشاعر في حالةٍ
يا ليتَ أني لم أكن شاعرا
أما تراه باسطا كفه
يستطعم الوارد والصادرا[19]

وقال الرستميّ :

تركت الشعر للشعراء إني
رأيت الشعر من سقط المتاع[19]

والغريب أن هذه الحملة الشعواء على الشعر كانت عن طريق الشعر .

وابن المدبّر يستدل على بلاغة الكتّاب وفضلهم وقوّة تأثيرهم بما جرى لأبي مسلم: "وقد وقعت البلاغة من العلم علوّ القدر وباذخ العزّ ، كأبي مسلم ، فرّقت شمله ، وبدّدت جمعه، وضعضعت بنيانه مع ذكائه وتفطّنه ، وامتناعه على أبي جعفر ونفاره عنه ، كيف استفزّه ابن المقفّع وصالح بن عبد القدّس ، واستمالوه بسحر ألفاظهم وبلاغة أقلامهم ، حتى نزل من باذخ عزّه ، وجاء مبادراً حتى وقع في الشّرك المنصوب له ... "[20] .

على هذه ومثلها مما احتجّ به مفضلوا النثر ، سندع الطائفة الأخرى ، طائفة أنصار الشعر ، تردّ في الفصل التالي .

---

١٨ الثعالبي ، ن.م. ، ص٣ .
١٩ هناك ، ص٣/٤ .

٢٠ ابن المدبّر ، إبراهيم ، الرسالة العذراء ، ص٤٢/ ٤٣.

الفصل الثاني
أنصار الشعر
الباب الأول
من يحتج على الشعر لأسباب دينية

إنّ معظم من يقولون بتهافت الشعر يرجعون عداوتهم إلى أسباب دينيّة، معتمدين على ما ورد من آيات قرآنية في ذمّ الشعراء، وحظر قول الشعر على النبي، وعلى أحاديث منسوبة للنبي ﷺ في ذمّ الشعر والشعراء.

سبق وسقنا بيّنات أنصار النثر في الفصل الأوّل ومقالتهم في تهافت الشّعر لما يعود منها إلى النصوص القرآنية وغيرها.

ونحن في هذا الباب ندع الطائفة الأخرى تردّ على مزاعم الأولى، وقد رتّبنا ردودهم على النحو التالي:

أ) ردّ على تأويل آية ٦٩ سورة ٣٦: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾.

ب) رد على تأويل آية ٢٢٤ سورة ٢٦: ﴿والشعراء يتبّعهم الغاوون ...﴾.

جـ) رد على تأويل حديث النبي ﷺ: "لأن يمتلئ فم أحدكم قيحاً خير له من أن يمتلئ شعراً".

أ) آية: ﴿وما علمّناه الشعر وما ينبغي له﴾:

إنما بعث الله رسوله أميًا غير شاعر إلى قوم يعلمون منه حقيقة ذلك، حين استوت الفصاحة واشتهرت البلاغة، آية للنبوة وحجّة على الخلق وجعله منثوراً ليكون أظهر برهانًا لفضله على الشعر الذي من عادة صاحبه أن يكون قادراً على ما يحبه من الكلام - وتحدّى جميع الناس من شاعر وغيره بعمل مثله فأعجزهم ذلك، كما قال تعالى: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾ (١٧/٨٨).

فكما أنّ القرآن أعجز الشعراء وليس بشعر، كذلك أعجز الخطباء وليس بخطبة، والمترسّلين وليس بترسّل، وإعجازه

الشعراء أشد برهانًا ، ألا ترى كيف نسبوا النبي ﷺ إلى الشعر لما غلبوا وتبيّن عجزهم؟ فقالوا : هو شاعر ، لما في قلوبهم من هيبة الشعر وفخامته ، وإنه يقع منه ما لا يُلحَق ، والمنثور ليس كذلك . ومن هنا قال تعالى : ﴿وما علّمناه الشعر ... ﴾. أي لتقوم عليكم الحجّة . ويشهد لذلك رواية يونس عن الزهري أنه قال : "ما الذي علمناه شعراً ، وما ينبغي له أن يعلم عنّا شعراً" وقال غيره : "أراد ما ينبغي له أن يبلغ عنا مالم نعلّمه . ولو أن كون النبيّ غير شاعر غضّ من الشعر لكانت أميته غضاً من الكتابة" [٢١] .

ويهتدي أنصار الشعر ممن أتى بعد ابن رشيق بنفس هذا المنطق في الردّ ويقيس بنفس القياس ، من هؤلاء كان المظفّر العَلَوي : "لما كان الشعر ديوان أهل عصره (الرسول) الذي بعث فيه ، وحُظِر عليه دلالةً على صدقه وشهادة على بطلان قول المبطلين في حقه وتنزيهًا له من افترائهم عليه ، فأقبل يتحداهم فريقًا فريقًا بأن يأتوا بمثله فلا يقدرون ، ولو كان شعراً لسهل عليهم .

ولو كان كل ما منعه الله منه كي لا يرتاب المبطلون نقيصة ، لكانت الكتابة نقيصة لما جعله الله أميًا لا يقرأ ولا يكتب" [٢٢] .

في هذا المقام يناقض العلوي نفسه ، فهو من جهة يدافع عن الشعر ومن جهة أخرى يقول : "ولو كان شعراً وطالبهم بمثله لسهل عليهم" ، هل من الصعوبة إتيانهم بمثله إذن من حيث هو نثر ؟ وهل النثر أصعب ؟ (أعتقد أن صاحب نضرة الاغريض قد استفاد من كتاب العمدة لابن رشيق ، ففي هذا المقام يستعمل كلمات ابن رشيق تقريبًا ، وكذلك في مسألة القياس بأميّة الرسول) .

وحين خرج عن نصّ ابن رشيق انزلق إلى مغالطة ، فابن رشيق يفضّل القرآن على الشعر من حيث هو قرآن لا من حيث هو نثر ، في حين يجعل المظفّر العرب يسهل عليهم أن يأتوا بمثله لو كان نزل شعراً .

أما عبد القاهر الجرجاني ، فله في الرد

---

٢١ ابن رشيق ، أبو علي القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ج١ ، ص٢٠/٢١ .

٢٢ العلوي ، المظفّر بن الفضل ، نضرة الاغريض في نصرة القريض ، ص٣٧٨/٣٧٩ .

أسلوب مغاير ، فهو يتدرّج في الردّ بأسلوب المتكلمين ، فيأتي بالمقدّمات ويدعّم بالأدلة ، ويجادل خصومه في الرأي ويصل إلى النتائج التالية :

"إنه ﷺ لم يُمنع الشعر من أجل أنه كان قولاً فصلاً وكلامًا جزلاً ، ومنطقًا حسنًا وبيانًا بيّنًا ، كيف وذلك يقتضي أن يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة وحماه الفصاحة والبراعة ، وجعله لا يبلغ الشعراء في حسن العبارة وشرف اللفظ ؟

وهذا جهل عظيم وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من أنّ النبيّ ﷺ كان أفصح العرب .

وإذا بطل أن يكون المنع من أجل هذه المعاني ، وكنّا قد قلنا إننا إنما ندعو للشّعر من أجل هذه المعاني ، كان الاعتراض بالآية محالاً ، والتعلق بها خطلاً من الرأي وانحلالاً" [٢٣] .

وأسلوب المتكلمين واضح عند الجرجاني ، فيمكننا ترتيب منطقه على هذا النحو :

ـ لم يمنع الله رسوله قول الشعر من حيث هو قول ومنطق وبيان حسن !

ـ إذا منع الله رسوله قول الشعر من حيث هو بيان ومنطق ؛

اذن فقد جعله لا يبلغ الشعراء في حسن العبارة .

ولكنّه كان أفصح العرب بإجماع العلماء .

إذن ، فمنعه قول الشعر يعود إلى أسباب غير البلاغة والفصاحة .

ـ إذا كنّا دعونا إلى الشعر من حيث هو بيان .

ـ ولم ندع للشّعر من حيث اسمه ؛

إذن ، فالاعتراض بآية (وما علمناه الشعر) لمنع الفصاحة والبيان هو خطأ في الرأي .

ويمضي الجرجاني : "وإن قال قائل حول الآية المذكورة إن الله كرّه للنبيّ الشعر ونزّهه عنه ، فإن هذه الكراهة وإن كانت لا تتوجه إليه من حيث هو كلام ، ومن حيث أنه بليغ وفصيح ، فإنها تتوجّه إلى أمر لا بدّ لك من التلبّس به في طلب ما ذكرت أنه مرادك من الشّعر ، وذاك أنه لا سبيل لك أن تميّز كونه كلامًا عن كونه شعراً ، حتى إذا رويته التبست به من حيث هو

٢٣ الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص ٢٠ .

كلام ، ولم تلتبس به من حيث هو شعر ، هذا محال .

وإذا كان لا بدّ لك من ملابسة موضع الكراهة ، فقد لزم العيب برواية الشّعر وأعمال اللّسان فيه .

وهذا كلام لا يتحصّل ، لأنه لو كان الكلام إذا وزن حطّ ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرّغ له في ذلك القالب إثمًا ، لكان من حقّ العيب فيه أن يكون على واضع الشعر أو من يريده لمكان الوزن خصوصًا دون من يريده لأمر خارج عنه ويطلبه لشيء سواه .

فأمّا قولك إنك لا تستطيع أن تطلب من الشعر مالا يكره حتى لا تلتبس بما يكره ، فإني إذا لم أقصده من أجل ذلك المكروه وأردته لأعرف به مكان بلاغة وأجعله مثالاً في براعة ... وأنظر إلى نظمه ونظم القرآن فأرى موضع الإعجاز ... فحقّ هذا التلبّس أن لا يعتدّ عليّ ذنبًا ، فالذنب حيث يكون العمد ، وقد تتبّع العلماء الشعوذة والسّحر ليعرفوا فرق ما بين المعجزة والحيلة ، وكان غرضهم كريمًا . وإذا رجعنا إلى الآثار والأخبار ، رأينا السبيل في منع الرسول الوزن ، غير ما ذهبوا إليه ، فلو كان كذلك لاقتضى أن يكره الرسول سماع الكلام موزونًا ، ولكان الرسول لا يأمر به . إذن ينبغي أن يعلم أن ليس المنع منع تنزيه وكراهة ، بل سبيل الوزن هو سبيل الخطّ حين جعل الرسول لا يقرأ ولا يكتب ، في أن لم يكن المنع من أجل كراهة كانت في الخطّ ، بل كي تكون الحجّة أبهر وأقهر" [٢٤] .

(وأسلوب المتكلمين والفلاسفة - كما ذكرت - واضحٌ هنا عند الجرجاني ، فهو يجادل خصومه ، واضعًا على ألسنتهم أسئلة مفترضة بأسلوب (فإنْ قُلْتَ قُلْتُ) ، وهذا يذكّرنا بالأشعري والغزالي في الردّ على الباطنيّة ، والخيّاط في الانتصار ، وغيرهم) .

والجرجاني في النصّ المتقدّم يدافع عن الشعر من زاوية ضيّقة ، فهو :

- يبقي الحظر قائمًا على من يريد الشعر لاعتبار الوزن .

- يدافع عن الشعر الذي هو فقط وسيلة

٢٤ الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، ص٢٠/ ٢١ .

لمقارنة نظمه مع نظم القران لجلاء موضع الإعجاز فيه ، يؤيّد ذلك دعمه بالقياس الذي يأتي به في تعلّم العلماء السّحر لا لذاته وإنما ليعرفوا الفرق بين المعجزة والحيلة .

ب) ﴿والشعراء يتّبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون ...﴾ :

يقول ابن رشيق في هذه الآية : "وأما احتجاج من لا يفهم وجه الكلام في هذه الآية ، فهو غلطٌ وسوء تأوّل ، لأن المقصودين بهذا النصّ شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله ﷺ بالهجاء ومسّوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل في شيء من ذلك، ألا تسمع كيف استثناهم الله عزّ وجل ونبّه عليهم فقال : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا بعدما ظلموا﴾ يريد شعراء النبي الذين ينتصرون له ويجيبون المشركين كحسّان وكعب بن مالك وغيرهم ، وقد قال النبيّ فيهم : هؤلاء النفر أشدّ على قريش من نضح النبل وقال لحسّان : أهجهم ومعك جبريل روح القدس، والق أبا بكر يعلّمْكَ تلك الهَنَات. فلو ان الشعر حرام ما اتخذ النبي شعراء يثيبهم على الشعر ويأمرهم به" [25] .

أما المظفّر بن الفضل فيروي في معنى هذه الآية عن عكرمة أن شاعرين تهاجيا في الجاهلية فكان مع كل واحدٍ منهما فريق من الناس يتبعه ويحفظ عنه ما يخترعه ... وقيل في قوله تعالى ﴿وانهم يقولون مالا يفعلون ... ﴾ أي يدعون على أنفسهم أنهم قتلوا وما قتلوا ، وزنوا وما فعلوا وما شابه ذلك ... وأقوال المفسرين في ذلك كثيرة ، ولا نزاع في اختصاص الآية بشعراء الجاهلية" [26] .

وعلى أسلوبه الخاص يقول الجرجاني :"التعلّق بالآية ليس حجّة في ذمّ الشعر ، فهذا يقتضي أن يعاب العلماء في استشهادهم بالشّعر في تفسير القرآن وغريب الحديث ، ويقتضي أن يدفع سائر ما تقدّم من أمر النبيّ بالشّعر وإصغائه إليه واستحسانه له" .

ويعود لنصّ الآية نفسها في مدافعته عن وجهة نظره :"ولو كان يسوغ ذمّ القول

---

٢٥ ابن رشيق ، العمدة ، ص٣١ .

٢٦ العلوي ، المظفّر ، نضرة الإغريض ، ص٣٦٣ .

من أجل قائله وأن يحمل ذمّ الشّاعر على الشّعر لكان ينبغي أن يخصّ ولا يعمّ وأن يستثنى فقد قال عزّ وجلّ ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... ﴾ الآية"[٢٧] .

ج) الحديث "لأن يمتلئ فم أحدكم قيحًا خير له من أن يمتلئ شعرًا" :

يذهب صاحب العمدة على أن هذا الحديث هو لمن غلب الشّعر على قلبه وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله وتلاوة القرآن . والشعر وغيره مما جرى هذا المجرى سواء ، وأما غير ذلك ممن يتخذ الشّعر أدبًا وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه ، وقد قال الشعر كثيرٌ من الخلفاء الراشدين والجلّة من الصّحابة والتابعين والفقهاء المشهورين[٢٨] .

وهذا المظفر يجعل المقصودين بهذا الحديث قومًا معينين في زمان معيّن ، ودليله على ذلك ما مدح به الرسول الشعر وكونه سمع الشعر في الرجز والقصيد واستنشده وتمثّل به مكسور الوزن ، وفي رواية أخرى : صحيح الوزن ، وأمر شعراءه بهجاء من هجاه ، وحث عليه ودعا إليه .

وإذا ثبت أنه لقوم مخصوصين وبطل أنه للعموم والإطلاق ، كان في تأوّله ضرب من التكلّف" . ولكنه لا يثبت هنا أنه لقوم مخصوصين ، وعوضًا عن ذلك يسوق ما قاله النضر :"كيف تمتلئ أجوافنا -يعني بالشعر- وفيها القرآن والفقه والحديث وغير ذلك ، وإنما كان ذلك في الجاهلية ، أما اليوم فلا"[٢٩] .

الباب الثاني

ما يرجع إلى طبيعة الشعر والنثر

I) مفاضلة بين الشعر والنثر وفضل الأوّل :

قال عمرو بن العلاء : كان الشاعر في الجاهلية يقدّم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيّد عليهم مآثرهم ويفخّم شأنهم ، ويهوّل على عدوّهم من غزاهم ، ويهيّب من فرسانهم ويخوف من كثرة عدوهم ... فلما كثر الشعر والشعراء ، واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر ، ولذلك

---

٢٧ الجرجاني ، ن.م ، ص٢١/٢٢ .

٢٨ ابن رشيق ، هناك ، ص٣١/٣٢ .

٢٩ العلوي ، المظفّر ، ن.م ، ص٣٦٣ .

قال الأول :"الشعر أدنى مروءة السري ، وأسرى مروءة الدني"[٣٠] .

وهذا بخلاف ما ادّعاه بعض أنصار النثر ـ كما تقدّم في الفصل الأول ـ من أنّ الشعر منذ مبدئه أدنى من النثر[٣١] .

وعن مبدأ الشّعر وحاجة العرب إليه يقول ابن رشيق :"كان الكلام كلّه منثوراً فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها وطيّب أعراقها ، وذكر أيّامها الصّالحة ، وأوطانها النّازحة وفرسانها الأمجاد وسمحائها الأجواد ... فتوهّموا أعاريض جعلوها موازين الكلام ، فلما تمّ لهم وزنه سمّوه شعراً لأنهم شعروا به"[٣٢] .

ومما يدل على شرف الشعر وعدم استطاعة كلّ أحد نظمه، ما يقوله الجاحظ: "ويكون للرجل طبع في تأليف الرسائل والخطب والأسجاع ولا يكون له طبع في قرض بيتٍ من الشّعر"[٣٣] .

وكذلك :"من فضيلة الشعر أن العلماء بالأدب لا يستطيعون نظم البيت الفذّ منه، ولولا أن تكون هذه المزيّة والفضيلة السنيّة موهبة من الله تعالى لما تعسّر على العلماء مع معرفتهم بأدواتها وقبضهم على أزمّة آلاتها"[٣٤] .

وابن رشيق يعقد مقارنة بين الشعر والنثر :"كلام العرب نوعان ، منظوم ومنثور .. فإذا اتفق الطبقتان في القدر وتساوتا في القيمة ، كان الحكم للشّعر ظاهراً في التسمية لأن كل منظوم أحسن من كل منثور من جنسه ، كالدرّ إذا كان منثوراً لم يؤمن عليه ولم ينتفع به في الباب الذي له كسب ومن أجله انتخب ... فإذا نظم كان أصون له من الابتذال وأظهر لحسنه مع كثرة الاستعمال ، وكذلك اللفظ، إذا كان منثوراً تبدّد في الأسماع وتدحرج عن الطباع ... وإذا أخذه سلك

---

٣٠ الجاحظ ، عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٤ ، أنظر أيضًا : ابن رشيق ، العمدة ، ص٨٢ .

٣١ أنظر : ابن الأثير ، الجامع الكبير ، ص٧٤ . أيضًا : المرزوقي ، شرح ديوان الحماسة ، ص١٦: "إن ملوكهم قبل الإسلام وبعده كانوا يتبجحون بالخطابة والافتنان فيها ، وكانوا يأنفون من الاشتهار بقرض الشعر ، ويعدّه ملوكهم دناءة .. كما كان لامرئ القيس مع أبيه في الجاهلية" .

٣٢ ابن رشيق ، نفسه ، ص٢٠ .

٣٣ الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج١ ، ص٢٠٨ .

٣٤ العلوي ، المظفّر ، هناك ، ص٣٥٨/٣٥٩ .

الوزن وعقد القافية تألّفت أشتاته وازدوجت فرائده وبناته ، واتخذه اللابس جمالاً والمدّخر مالاً فصار قرطة الآذان وقلائد الأعناق" [٣٥] .

ويقول المظفّر بن الفضل في هذا المعنى : "من فضيلة الشعر أن الكلام المنثور وإن راقت ديباجته ورقّت بهجته ، وحسنت ألفاظه إذا أنشده الحادي وأورده الشادي، لا يحرّك رزينًا ولا يسلّي حزينًا ، فإذا حوّل بعينه نظمًا ووسم بالوزن وسمًا ولج الأسماع بغير امتناع ، وملك القلوب كما تملك الإماء في الحروب" [٣٦] .

ويضيف ابن رشيق محاولة أخرى للبرهنة على فضل الشّعر على النثر فيقول : "اجتمع الناس على أنّ المنثور في كلامهم أكثر وأقلّ جيّداً محفوظًا وأن الشعر أقل وأكثر جيّداً محفوظًا ، لأن في أدناه من زينة الوزن والقافية ما يقارب به جيّد المنثور" ، ودليله : "ما تكلّمت به العرب من جيّد المنثور أكثر مما تكلّمت به من جيّد الموزون ، فلم يحفظ من الموزون عشره ، ولا ضاع من الموزون عشره" [٣٧] .

أما من يقول بأن الشعراء يخدمون الكتّاب أبداً ، في حين لا تجد كاتبًا يخدم شاعراً ، فيقال له : "إنما ذلك لأن الشاعر واثق بنفسه ، مدلّ بما عنده على الكاتب وعلى الملك ، فهو يطلب ما في أيديهما ويأخذه ، والكاتب بأي آية يفضل الشّاعر فيرجو ما في يده؟ هذا مع أنه كان لأبي تمّام والبحتري قهارمة وكتّاب" [٣٨] .

II) ما يؤخذ على الشعر يؤخذ على النثر مثله :

قيل عن الشعر أنه سبب التكفّف وأخذ الأعراض وما أشبه ذلك ، وقد حاول كثيرون الردّ على هذا المأخذ ، من هؤلاء كان ابن سيرين الذي رأى الشعر مجرّد عقد بالقوافي فما حسن في الكلام حسن في الشعر وكذلك ما قبح منه .

وردّ آخرون : ينبغي لذامّ الشّعر من هذا المنطلق أن يذمّ الكلام كله وأن يفضّل الخرس على النطق ، فمنثور كلام الناس أكثر من منظومه ، والذي زعم أنّه ذمّ

---

٣٥ العمدة ، ص١٩/ ٢٠ .

٣٦ هناك ، ص٣٥٩

٣٧ العمدة ، ص٢٠ ، ٢٢/٢١ .

٣٨ ن.م ، ص٣٠ .

الشّعر بسببه وعاداه بنسبته إليه أكثر ، ونحن نعلم أنه لو كان منثور الكلام يجمع كما يجمع المنظوم ثمّ عمد عامدٌ فجمع ما قيل من جنس الهزل والسخف نثراً في عصر واحد لأربى على جميع ما قاله الشعراء نظمًا في الأزمنة الكثيرة ولغمره حتى لا يظهر فيه"[39] .

ويضيف الجرجاني :"هذا ، وراوي الشعر حاكٍ ، وليس على الحاكي عيب إذا هو لم يقصد في روايته أن ينصر باطلاً أو يسوء مسلمًا ، وقد استشهد العلماء لغريب القرآن بالأبيات فيها الفحش وفيها ذكر القول القبيح ... ثمّ لم يعبهم ذلك لأنّهم لم يقصدوا إلى ذلك الفحش .

وبعد ، فكيف وضع فن الشّعر عندك أنك وجدت فيه الباطل ولم يرفعه في نفسك ولم يوجب له المحبّة إن كان فيه الحقّ الصدق والحكمة وفصل الخطاب ، وإن كان مجنى ثمر العقول والألباب ومجتمع فرق الآداب والذي قيّد على النّاس المعاني الشريفة وأفادهم الفوائد الجليلة ؟

وكيف رويت :"لأن يمتلئ فم أحدكم قيحًا ... " ولهجت به وتركت قوله "إن من الشّعر لحكمة" ؟ وكيف نسيت أمره ﷺ بقول الشعر ووعده عليه الجنّة ، وقوله لحسّان "قل وروح القدس معك ..." ؟[40] .

وهذا المظفّر يعترف بالمآخذ التي تؤخذ على بعض الشعراء ، ولكنّه لا يرى مبرراً أن ينجرّ ذلك على الشعر عامّةً ، ويتساءل :"وهل يحسن باللبيب العاقل أن يرى كاتبًا لحّانًا رديئًا خطّه مخطئًا شكله ونقطه فيذمّ من أجله كل كاتب؟"[41] .

وهذا المنطق نفسه يحتج به للردّ على من تحاملوا على الكتّاب من أنصار الشّعر ومن هؤلاء كان ابن قتيبة الذي يرى الكتّاب قد استطابوا الدّعة واستوطأوا مركب العجز وأعفوا أنفسهم من كدّ النظر وقلوبهم من نصب التفكير ، ويسوق كذلك نماذج فرديّة : "وأيّ موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتّاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه وارتضاه لسرّه ، فقرأ عليه

٣٩ دلائل الإعجاز ، ص١٠ .

٤٠ ن.م. ، ص١٤-١٦ .

٤١ نضرة الاغريض ، ص٣٧٢ .

يومًا كتابًا وفي الكتاب «ومُطرنا مطراً كثر عنه الكلأ» . فقال له الخليفة ممتحنًا : وما الكلأ؟ فتردّد في الجواب وتعثّر لسانه ثم قال : لا أدري"[٤٢].

من نفس المنطق يطرح السؤال : وهل يؤخذ على الكتّاب جميعًا ما يؤخذ على كاتب لعدم معرفته كلمة من مفردات العربيّة ؟

وهذا الجاحظ يفرد رسالة كاملة في ذمّ الكتّاب ، ويجعلها لعنة تصيب الكتّاب جميعًا ، وذلك لهوىً في نفسه :"استكتب رسول الله معاوية فكان أوّل من غدر في الإسلام بإمامه ، وكتب عثمان لأبي بكر ، فلم يمت حتى أداه عرق الكتابة إلى ذم من ذمّه من أوليائه ، ثم كتب لعمر بن الخطاب زياد بن أبيه ، فانعكس شر ناشئ في الإسلام ، نقضت بدعوته السنّة وظهرت في أيام ولايته بالعراق الجبريّة ... ثم كتب لعثمان مروان بن الحكم فخانه في خاتمه ، فأشعل الرعيّة حربًا عليه في ملكه ... "[٤٣] . فالمنطق الذي دافع به أنصار الشعر عن أنفسهم يحتج به عينه للدّفاع عن الكتّاب بما اتهموا به .

ب) الشعر أسنى مروءة الدنيّ وأدنى مروءة السريّ :

قيل في الشّعر (إنه يرفع من قدر الوضيع الجاهل مثلما يضع من قدر الشريف الكامل وإنه أسرى مروءة الدنيّ وأدنى مروءة السريّ) .

يعلّق ابن رشيق القيرواني :"إنما قيل في الشّعر ما قيل لأمر ظاهر غاب عن بعض النّاس فتأوّله أشدّ التأويل ، وظنّه مثلبة وهو منقبه ، وذلك أن الشعر لجلالته يرفع من قدر الخامل إذا مدح به مثلما يضع من قدر الشريف إذا اتخذه مكسبًا ، كالذي يؤثر من سقوط النابغة بامتداحه النعمان بن المنذر ، فأما من صنع الشعر فصاحة ولسنًا وافتخاراً نسبة وتخليداً لمآثر قومه ، ولم يضعه رغبة ولا رهبة ولا مدحًا ولا هجاءً ، فلا نقص عليه في ذلك.

وأما تفسير القول الآخر في السريّ

---

٤٢ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، أدب الكاتب ، ص٦/٧ .

٤٣ الجاحظ ، عمرو بن بحر ، رسالة في ذمّ أخلاق الكتّاب ، رسائل الجاحظ ، ج٢ ، ١٨٩ .

والدنيّ. فإنه إذا بلغت بالدنيّ نفسه وطمحت به همّته إلى أن يصنع الشعر - الذي هو أخو الأدب ، وتجارة العرب ... ويرفع صوته على من فوقه ويزيده في القدر على ما استحقه - فقد صار سريًا - على أنه القائل ، فإن كان المقول له فذلك أعظم فرية ، وأشرف خطة ومنزلة ، وإذا انحطّت بالسريّ همته ، وقصرت مروءته إلى أن يصنع الشعر ليتكسّب به المال ، ويكافئ به الأيادي دون غيره - وهو يعلم أنه أبقى من المال ... وأنه إن خاطب به من فوقه فقد رضي بالضراعة ، وإن خاطب كفأه فقد نزل عن المساواة ، وإن خاطب من دونه سقط جملةً ..."[٤٤] .

(وموقف ابن رشيق هنا كبعض مواقفه في مواطن أخرى ألمحنا إليها ، يأخذ برأي ضعيف ويستميت في الدفاع عنه) .

III) ردّ على من ذمّ الشعر لأوزانه وأغراضه:

أ. يردّ الجرجاني على من ذمّ الشعر لأنه موزون مقفّى بقوله : "إن زعم أحدٌ أن ذمّ الشعر في القرآن من حيث هو موزون مقفّى حتى كان الوزن عيبًا وحتى كان الكلام إذا نُظِمَ نَظْمَ الشعر ، اتضع في نفسه وتغيّرت حاله ، فقد أبعد وقال قولاً لا يعرف له معنى ، وخالف العلماء في قولهم : (إنما الشعر كلامٌ فحسنه حسن وقبيحه قبيح) وقد روي ذلك عن النبي، فإن زعم أنه إنما كره الوزن لأنه سببٌ لأن يغنّى في الشعر ويلتهى به ، فإنا إذا كنّا لم نَدْعُه إلى الشعر من أجل ذلك ، وإنما دعوناه إلى اللفظ الجزل والقول الفصل والمنطق الحسن والكلام البيّن وإلى حسن التمثيل والاستعارة ... (إلخ) ، فلا متعلّق له علينا بما ذكر ولا ضرر علينا فيما أنكر ، فليقُل في الوزن ما شاء وليضعه حيث أراد ، فليس يعنينا أمره ولا هو مرادُنا من هذا الذي راجعنا القول فيه"[٤٥] .

لا شك في أن للجرجاني رأي في مفهوم الشعر يختلف شيئًا عن مفهوم عصره ، ففي هذا المقام على الأقل ، يرى بأن الشعر ليس وزنًا وقافية ، بل يتعداّه إلى الألفاظ والمنطق والبيان ، ويرى طبقة الشعراء من هذا المنطلق نفسه أقدر الناس على فهم إعجاز القرآن كما يقول في مقام

٤٤ العمدة ، ص٤١/٤٢ .

٤٥ دلائل الإعجاز ، ص١٩/٢٠ .

آخر : "إن الجهة التي فيها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وبهرت هي أنه كان على حدّ من الفصاحة تقصّر عنه قوى البشر ، ومنتهيًا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر وكان محالاً أن يعرف كونه كذلك إلا من عرف الشعر الذي هو ديوان العرب وعنوان الأدب والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان وتنازعوا فيهما قصب الرّهان"[٤٦] .

ب. كان ممّا ذمّ به الشعر أغراضه فرأوها وصفًا للدّيار والآثار وذكراً للأوطان وحنينًا إلى الأهواء وتشبيبًا بالنساء وطلبًا للمديح والهجاء ... إلخ ممّا تقدّم ذكره[٤٧] .

ويرى المظفّر أنهم في ذلك معذورون غير ملومين ، لأنهم جروا فيه على سنن السلف ورسم من تقدّم منهم ولم يصفوا ويشبّهوا ويمدحوا ويذمّوا إلا ما هو تجاه أعينهم لا يعاينون غيره ولا يعانون سواه ، ولكل قوم سنّة بها يستنّون ... فمن أضاع ذلك منهم كان خارجًا عن مذهبه . كما أن المولّد من الشعراء إذا ترك صفات القدود القويمة والخدود الوسيمة والألحاظ الرطبة وما أشبه ذلك ، وتعاطى صفات الديار والآثار .. وغير ذلك ، كان خارجًا عن حاله ، مخالفًا لمذهبه ورجاله "[٤٨] .

وعن جلال أغراض الشعر يقول ابن قتيبة : "من جلالة قدر الشعر وعظيم خطره أنه يرفع بالمديح ويضع بالهجاء ، وقد أودعته العرب الأخبار النافعة والأنساب الصّحاح ، والحكم المضارعة لحكم الفلاسفة والعلوم في الخيل والنجوم وأنوائها والاهتداء بها ، والرياح ما كان منها مبشراً أو جائلاً والبروق وما كان منها خُلّبًا أو صادقًا ، والسحاب وما كان منها جهامًا أو ماطراً ، وما يبعث منه البخيل على السماح والجبان على اللقاء والدنيّ على السموّ ..."[٤٩] .

---

٤٦ ن.م. ، ص١١ .

٤٧ أنظر : الثعالبي ، رسائل ، ص٣ . وأيضًا : المرزوقي ، شرح الحماسة ، ص١٩/ ٢٠ .

٤٨ نضرة الاغريض ، ص٣٧٤/ ٣٧٥ .

٤٩ ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، ج١ ، ص٦٣/ ٦٤ .

الباب الثالث
ما يرجع إلى المأثور والمنقول

يستفاد ممّا تقدّم أن الحملة على الشّعر كان جلّها يعود إلى أسباب دينية ، لهذا تركّزت ردود المدافعين على الاعتبارات الدينية أكثر من غيرها ، وكما ذكر فقد ردّ الكثيرون وبنجاح تقريبًا على مثل هذه الحملات .

والمتصفّح لكتب المدافعين عن الشعر يجد سيلاً من الأحاديث المأثورة والمنقولة عن رسول الله وصحابته والتابعين ، وسيلاً آخر ممّا قالته العرب عن الشعر في أخبارهم وطرائفهم ونوادرهم .

ونكتفي بإيراد ما نقل عن الرسول وصحابته :

روي عن النبي أنه قال :"إنما الشعر كلام مؤلّف فما وافق الحقّ منه فهو حسن ، وما لم يوفق الحقّ منه فلا خير فيه" . وقال أيضًا :"إنما الشعر كلام فمن الكلام خبيث وطيّب" وقال :"إن من الشعر لحكمة" .

ويروى عن عائشة عن رسول الله أنه قال :"الشعر كلام من كلام العرب جزل ، تتكلم به في واديها وتسلُّ به الضغائن من بينها" ، وفي مقام آخر :"لا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين" [٥٠] .

ومن شدّة اهتمام النبي بالشعر يبني لحسان في المسجد منبراً ينشد عليه الشعر[٥١] ، ويروي المحدّثون أكثر من قصة لحسان مع الرسول . من ذلك ما يروي أبو غزيّة الأنصاري : لما أنشد حسان رسول الله ﷺ :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه
وعند الله في ذاك الجزاء

تبسّم رسول الله وقال له :"جزاك الله الجنّة على ذلك" . ثمّ أنشده :

فإن أبي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

فقال الرسول ﷺ : وقاك الله حرّ النّار" [٥٢] .

وفي خبر آخر يقول الرسول ﷺ لحسّان: "هيّج الغطاريف على عبد مناف ، والله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في

٥٠ هذه الأحاديث وردت في العمدة ، ص٢٧-٣٠ .
٥١ نضرة الاغريض، ص٣٥٢. أيضًا العمدة ، ص٢٧.
٥٢ ن.م ، ص٣٠٦/٣٠٧ .

غلس الظلام" [٥٣] .

وفي قصّة أخرى يقول الرسول ﷺ لحسّان :"يا حسّان ، إن أبا سفيان قد هجاني وقرابته مني كما عرفت فكيف تصنع؟ فقال : يا رسول الله ، لأسلنّك منه كما تسلّ الشعرة من العجين" [٥٤] .

ويروى عن أسماء أنها قالت : مرّ الزبير بمجلس لأصحاب النبي وحسّان ينشدهم وهم غير آذنين مما يسمعون ، فقال :"مالي أراكم غير آذنين لما تسمعون من شعر ابن الفريعة ؟ لقد كان ينشد رسول الله فيحسن استماعه ويجزل ثوابه" [٥٥] .

وفي قصة مشابهة :"مر عمر بحسّان ينشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ثم قال : أرغاء كرغاء البكر؟ فقال حسان : دعني عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فما يغيّر عليّ ذلك ، فقال عمر : صدقت" [٥٦] .

وهذا الرسول ﷺ يأمر عبد الله بن أبي رواحة أن يرتجل شعراً فيقول :

أنت النبي ومن يحرم شفاعته
يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبّت الله ما آتاك من حسن
تثبيت موسى ونصراً كالذي نصروا

فقال الرسول ﷺ :"وأنت ثبّتك الله أحسن الثبات" [٥٧] .

وممّا يؤكّد اهتمام الرسول ﷺ بالشعر وتأثره به ما يرويه الجاحظ في قصّة الرسول مع ليلى بنت النّضر ، قال : ومن قدر الشعر وموقعه في النفع والنصر أن ليلى بنت النّضر بن الحارث لما عرضت للنبي ﷺ وهو يطوف بالبيت واستوقفته وجذبت رداءه حتى انكشف منكبه وأنشدته شعرها بعد مقتل أبيها ، فقال ﷺ :"لو كنت سمعت شعرها هذا ما قتلته" [٥٨] .

والرسول ﷺ كان يقول الشعر ولكنه كان يكسر وزنه ، فقد رووا عنه أنه كان

---

٥٣ ن.م. ، ص٣٥٤ .
٥٤ ن.م. ، ص٣٥٥ .
٥٥ العمدة ، ص٢٨ .
٥٦ العمدة ، ص٢٨ .

٥٧ نضرة الاغريض ، ص٣٠٨ .
٥٨ البيان والتبيين ، ج٢ ، ص٤٣/٤٤ . وأيضًا : العمدة ، ص٥٦/٥٧ . نضرة الاغريض ، ص٣١٠ . وكلاهما يقول أن اسمها لم يكن ليلى وإنما قتيلة بنت النضر .

يوم الأحزاب ينقل التراب ويقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا

ولا تصدّقنا ولا صلّينا

وأنه يوم حنين قال :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وأنه أصاب إصبعه حجر فدميت فقال :

هل أنت إلا إصبع دميت

وفي سبيل الله ما لقيت[٥٩]

لم يقتصر الأمر على الرسول ﷺ ، فهذه عائشة تشجّع الشعر وتكثر من روايته حتى يقال إنها كانت تروي جميع شعر لبيد . ومن أقوالها في الشعر : "الشعر فيه كلام حسن وقبيح فخذ الحسن واترك القبيح" [٦٠] .

أما عمر بن الخطاب فيقول عنه العائشي أنه كان أعلم الناس بالشعر[٦١] .

ويروي الجاحظ عن محمد بن سلام عن بعض أشياخه قال :"كان عمر بن الخطاب لا يكاد يعرض له أمرٌ إلا أنشد فيه بيت شعر"(البيان ، ج١ ، ص٢٤١) ، ومن أقوال عمر في الشعر : من خير صناعات العرب الأبيات يقدّمها الرجل بين يدي حاجته يستنزل بها الكريم ويستعطف بها اللئيم" (البيان، ج٢ ، ص٣٢٠) .

ومن قول آخر له :"الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه" [٦٢] .

ولا يقف الأمر عند مجرّد أقوال، بل كان يحضّ النّاس على قوله ، فمن كتاب بعث به إلى أبي موسى الأشعري :"مُرْ من قبَلك بتعلّم الشعر ، فإنه يدلّ على معاني الأخلاق وصواب الرأي ومعرفة الأنساب"[٦٣] .

وعليّ بن أي طالب كان مجوِّداً من الشعر ، ومن أقواله فيه :"الشعر ميزان القول" ، ويقال أنه كان يثيب عليه ، فيروى أن أعرابيًا قال له : إنّ لي إليك حاجة ، فقال له علي: خطّ حاجتك في الأرض ، فكتب الأعرابي على الأرض

---

٥٩ وردت هذه الأبيات في كتاب نضرة الاغريض ، ص٣٨٠ .

٦٠ العمدة ، ص٣٠ ، ٢٧ .

٦١ أنظر : البيان والتبين ، ج١ ، ص٢٣٩ . وأيضًا : العمدة ، ص٧٦ .

٦٢ العمدة ، ص٢٧ .

٦٣ نفسه ، ص٢٨ .

(إني فقير) ، فقال علي : يا قنبر ادفع إليه حلتي الفلانيّة ، فلما أخذها قال :

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
إن الثناء ليحيي ذكر صاحبه
كالغيث يحيي نداه السهلَ والجبلا
لا تزهد الدّهر في عرف بدأت به
فكل عبد سيجزى بالذي فعلا

فقال عليّ : يا قنبر أعطه خمسين ديناراً ، أما الحلة فلمسألتك ، وأما الدنانير فلأدبك[٦٤] .

وهذا أبو بكر أيضًا يحثّ على الشعر فيقول : "علّموا أولادكم الشعر فإنه يعلمهم مكارم الأخلاق" [٦٥] .

أما من خلفاء أمية ، فيروى عن معاوية أنه قال : "اجعلوا الشعر أكبر همّكم وأكثر أدبكم . فلقد رأيتني ليلة الهرير بصفّين . وأنا أريد الهرب لشدّة البلوى ، فما حملني على الإقامة إلا أبيات عمرو بن الاطنابة :

(أبت لي همتي وأبى بلائي ...) [٦٦]

ويكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجّاج وقد سمع أنه يعرض عن الشعراء : "قد بلغني عنك أمر كذّب فراستي فيك ، وهو إعراضك عن الشعر والشعراء ، وكأنك لا تعرف فضيلة الشعر ولا تعرف مواضع كلام الشعراء ومواقع سهامهم" [٦٧] .

وهذا أبو سائب المخزومي . على شرفه وجلالته وفضله في الدين والعلم . على استعداد أن يُحَدّ في كل يوم مراراً ولا يترك الشعر[٦٨] .

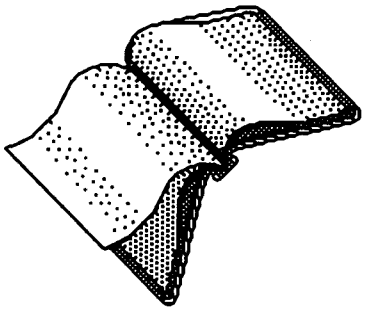

٦٤ ن.م. ، ص٢٩ .
٦٥ نضرة الاغريض ، ص٣٥٦ .
٦٦ العلوي ، المظفّر ، هناك ، ص٣٥٧ . والأبيات في العمدة ، ٢٩ .
٦٧ ن.م. ، ص٣٥٨ .
٦٨ العمدة ، ص٣١ .

الفصل الثالث

خلاصة القول

إن الحملة التي شنّها نقّاد ومؤلفون ونظّار على الشعر إنما تعود في معظمها من غير شك إلى أسباب دينيّة ، وهذا الموقف يرتبط في أحيان كثيرة بمسألة إعجاز القرآن التي كثر الحديث عنها في أواخر القرن التاسع الميلادي وفي القرن العاشر .

لقد انبرى نفر للدفاع عن إعجاز القرآن لمّا ازداد عدد المتطاولين والمتجرئين على القرآن الكريم من رجال الأدب مبتغين معارضتومحاكاته[٦٩] . وقد تعامل المسلمون بتسامح في بداية الأمر مع ظاهرة معارضة القرآن الكريم لما ورد في القرآن الكريم من تحدي العرب أن يأتوا بسورة من مثله أو بآية من مثله .

وممّا يدلّ أنّ معارضة القرآن كان شيئًا مقبولاً قبل ذلك أن البطريرك النستوري Timothy مثلاً يقول أمام الخليفة المهدي (٧٧٥-٧٨٥) أن القرآن لا يمكن أن يؤكد إعجازه مالم يعارض[٧٠] .

والجاحظ في القرن الثالث الهجري في رسالته « ذم أخلاق الكتّاب » يزجر ويوبّخ الكتّاب على رغبتهم وكدّهم في الطعن على القرآن الكريم ، يقول :"ثم إن الناشئ فيهم إذا وطئ مقعد الرياسة وتورك مشورة الخلافة ... وحفظ من الكلام فتيقه ومن العلم مُلَحَهُ وروى لبزرجمهر أمثاله ولأردشير عهده ... ظنّ أنه الفاروق الأكبر في التدبير وابن عبّاس في العلم بالتأويل ... فيكون أول بدْوه الطعن على القرآن في تآليفه ، والقضاء عليه بتناقضه ... "[٧١] .

ومثل هذه الأخبار وغيرها تؤكد الجرأة والتطاول التي كانت على القرآن ، فقام في أعقاب ذلك بعض النقّاد واللغويين

---

٦٩ أنظر : Grenebaum, G.E. , A Tenth - Century Document of Arabic Literary Theory and Criticism, P. Xiv ، (حاشية ٧) .

٧٠ ن. م. ، صxiv .

٧١ الجاحظ ، عمرو بن بحر ، "رسالة في ذم أخلاق الكتّاب" ، رسائل الجاحظ ، ج٢ ، ص١٩١/١٩٢ .

بالدفاع عن القرآن وبيان تهافت الشعر - لا سيّما وأن هذه الجرأة على القرآن كان أكثر من يقوم بها الشعراء - فهذا العسكري ، "وهو عالم في اللغة يتحاشى الخوض في الجدل الفلسفي لحساب الناحية البلاغية من الإعجاز ، ولكي يثبت آراءه اضطرّ أن يفضّل النثر على الشّعر ، مناقضًا في ذلك الرأي الذي أجمع عليه العرب" [٧٢] .

والباقلاني يتصدّى في كتابه « إعجاز القرآن » بقوّة لإثبات تهافت الآداب العربية جميعها بإزاء القرآن ، ومن أجل هذه الغاية أدرج في كتابه ثلاثة فصول ، يبرهن في الأول على وجود المجاز في القرآن كما هو موجود عند الشعراء ، وفي الثاني والثالث يشير إلى قصور وضعف حتى أحسن القصائد الشعرية عند العرب ، ويأخذ كنموذج لهذا الضعف معلقة امرئ القيس ، ويختار قصيدة جيّدة من قصائد البحتري ، وفي هذا يعطي نفسه فرصة هدم الهالة حول الشعر الكلاسيكي والحديث على السواء [٧٣] .

ولا يقف الأمر عند من ذكرنا ، بل يتعداهم إلى كثيرين غيرهم من الثعالبي مروراً بابن الأثير وحتى القلقشندي .

وأحب أن أنوّه أنه ليس كل من دافع عن النثر وذمّ الشعر ، فعل ذلك لاعتبارات دينية ، فبعضهم أضاف الاعتبار الديني ليدعّم آراءه في ذمّ الشعر.

ردًا على هذه الحملة قامت حملة مضادّة لأنصار القريض للدّفاع عنه ، منهم من فعل ذلك من خلال فهم آخر لإعجاز القرآن ، ومن خلال ذلك ردّ للشّعر اعتباره كما فعل عبد القاهر الجرجاني في كتابه « دلائل الإعجاز » ، ومنهم - وهم كثيرون - من تصدّوا للفريق الأول من خلال نظرة شمولية إلى قيمة الشعر كما ورد في الفصل الثاني من هذه الدّراسة.

ب. الأسباب الاجتماعيّة :

لقد أصاب الشعر العربي بعد القرن

---

٧٢ غربناوم ، غوستاف فون ، دراسات في الأدب العربي ، ص١٠٩ ، (ملاحظة ٩) .

٧٣ A Tenth - Century Document of Arabic Literary Theory & Criticism, P. XIX/XX

الثالث ضعفٌ بيّن استبدّ به لما لجأ إليه الشعراء من المغالاة في التصنّع اللفظي والأسلوبي، والإمعان في استعمال المحسّنات البلاغيّة والإفراط فيها حتى يستحيل ذلك إلى ضرب من التباهي بالمقدرة اللغويّة والتفنّن بضروب البلاغة المختلفة .

ويمثّل هذا خير تمثيل أبو العلاء المعرّي في لزومياته حتى يجعل كلمة القافية جناسًا ناقصًا فيلتزم مالا يلزم ، أو يكتب بيتًا من الشعر يفهم عند قراءته من اليمين على نحو ومن الشمال على آخر ، أو أن يكون عند قراءته من اليمين مدحًا ومن الشمال ذمًا ، أو أن ينظم قصائد جميع كلماتها مهموزة أو خالية من الهمز وغير ذلك ممّا لا يحصى نوعه . ولا يؤخّر أفول الشعر العربي إلا وجود شاعرين عظيمين في القرن الرابع والنصف الأول من القرن الخامس هما : أبو الطيّب المتنبي وأبو العلاء المعرّي .

ينقل شوقي ضيف عن آدم متز إلى أن ذلك كان امتداداً للحياة الاجتماعية ، فيصاب الناس بترف عقلي يؤدي بهم إلى ألوان من التعقيد في صنع النماذج الفنّية. ويضيف: "نحسّ إزاء الشعر العربي والحضارة العربيّة بعد القرن الثالث عقمًا ، فهذه الحضارة لا تأتي بجديد إلا اهتمامًا بالشكليات وتعقيداً في شؤون الحياة ، فالدولة تضعف ... والناس تعنى بالشكل وليس بالحقيقة ... ومهما بحثت في هذه العصور فلن تجد إلا تصنّعًا شديداً في جميع شؤون الحياة" [٧٤] .

وهذا حازم القرطاجني يعترف بواقع الشعر المرير ويؤكّد العناية بعلم الشعر "لأن الحاجة إلى تأصيله ماسّة ، خاصّة بعد أن اختلّت الطباع وخملت القدرة على الاجتهاد والابتكار منذ القرن الخامس" .

ويرى "أن الشعر لا يمكن أن يعود إليه ازدهاره إلا بتأكيد جانب القيمة ، وهذا يعني وضع منهاج يهدي عمليّة التذوّق والتحليل والتفسير وبالتالي التقييم على مستوى المتلقّي ، ووضع سراج يضيء عملية التعلم على مستوى الإبداع ، فيكشف عن مغزى الشّعر وجدواه في حياة

---

٧٤ ضيف ، شوقي ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص٢٧٧/٢٧٨ .

الفرد والجماعة"[٧٥] .

ويعزو غرنباوم هذا التدهور في الشّعر إلى تضاؤل شعاع الدوافع الخلاّقة عند نهاية القرن العاشر الميلادي (الرابع الهجري) حيث استسلم الأدب العربي إلى ما كتبته عليه طبيعته الأصلية ، فأصبح معرّضًا للتنويع في موضوعات متشابهة والتلذّذ بالصور التي تثيرها الكلمات لا التجارب والتعلق بالأحكام والنماذج والانقياد لداعي الحذاقة والاستطراف ، فعندما استبعدت المؤثرات الأجنبية ، تهدّد الشعر العربي بالأفول[٧٦] .

وأنا أرى بالإضافة إلى ما تقدّم أنّ ذلك يعود إلى فهم معظم النقّاد العرب للشّعر على أنه تعاملٌ مع الألفاظ والأسلوب وليس المعاني ، فابتداءً بالجاحظ الذي رأى المعاني مطروحة للقاصي والداني وأنّ الأهميّة للشكل الذي تلبسه المعاني ، ومروراً بالعسكري فالآمدي فابن خلدون ، هذه النظرة جعلت الشعراء يدورون في أماكنهم في حلقة مفرغة مما ألجأ النقّاد إلى معالجة قضيّة السرقات الأدبية في الشعر .

خلاصة القول : إن الشعر العربي كان في مرحلة انحطاط ، تعود أسبابه إلى عوامل اجتماعية وحضارية من جهة ، وإلى أسباب دينيّة من جهة ثانية ، وقد انبرى للدفاع عن مكانة الشعر الكثير من النقّاد وعلماء اللغة ، غير أن هذه المحاولات لم تستطع أن تنقذ الشعر من التدهور والابتعاد عن الإبداع الفنّي ، ليغدو بالتالي مستسلمًا للتنويع في موضوعات متشابهة والانقياد للحذاقة والاستطراف بعيداً عن التجربة الإنسانية الحيّة .

---

٧٥ عصفور ، جابر ، مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي ، ص١٣٥ .

٧٦ غرباوم ، دراسات في الأدب العربي ، ص٢٤ .

قائمة المراجع

١. ابن الأثير ، ضياء الدين ، الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور ، تحقيق مصطفى جواد ، طبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٩٥٦ .

٢. ابن رشيق ، أبو علي الحسن القيرواني ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، بيروت ، ١٩٧٢ .

٣. ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، أدب الكاتب ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٤ ، مصر ، ١٩٦٣ .

٤. ابن قتيبة ، عبد الله بن مسلم ، الشعر والشعراء ، ج١ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٦ .

٥. ابن المدبّر ، إبراهيم ، الرسالة العذراء ، تحقيق زكي مبارك ، ط١ ، القاهرة ١٩٣١ .

٦. الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد ، رسائل الثعالبي (أو) نثر النظم وحلّ العقد ، طبعة دار صعب ، بيروت ، د. ت.

٧. الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ، البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط٤ ، طبعة مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٩٧٥ .

٨. الجاحظ ، عمرو بن بحر ، "رسالة في ذمّ أخلاق الكتّاب" رسائل الجاحظ ، ج٢ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

٩. الجرجاني ، عبد القاهر ، دلائل الإعجاز ، تحقيق الشيخ محمد عبده ، طبعة مطبعة الفتوح الأدبية ، مصر ، ١٣٣١هـ .

١٠. ضيف ، شوقي ، **الفن ومذاهبه في الشعر العربي** ، ط٧ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٩ .

١١. عصفور ، جابر ، **مفهوم الشعر ، دراسة في التراث النقدي** ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٢ .

١٢. العلوي ، المظفر بن الفضل ، **نُضْرَةُ الإغريض في نُصرة القريض** ، تحقيق نهى عارف الحسن ، دمشق ، ١٩٧٦ .

١٣. غرنباوم ، غوستاف فون ، **دراسات في الأدب العربي** ، ترجمة محمد يوسف نجم ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت.

١٤. القلقشندي ، أبو العبّاس ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء** ، ج١ ، المؤسسة المصريّة العامّة للتأليف والترجمة ، القاهرة ، د. ت .

١٥. المرزوقي ، **شرح ديوان الحماسة** ، نشر أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة ، د. ت.

المراجع الأجنبية :

١٦. Grenebaum, Gostave E. V. , **A Tenth - Century Document of Arabic Literary Theory and Criticism**, The University of Chicago Press, Chicago, 1950.